قراءة لسانيّة في كتاب شرح صوتيّات سيبويه دراسة حديثة في النّظام الصّوتيّ للعربيّة من خلال نصوص كتاب سيبويه لمؤلّفه الدكتور عبد المنعم الناصر

م.د. عدنان رسمي ياسر

جامعة ذي قار – كُلّيَّة التَّربية للبنات

adnan.rasmi@utq.edu.iq

الملخص:

هذا البحث هو قراءة لسانيّة في كتاب "شرح صوتيات سيبويه" لمؤلّفهِ الدكتور عبد المنعم الناصر، إذ تناوش فصول الكتاب بالنّقد والتَّحليل، وقد وقفنا من خلاله على أبزر القضايا التي أثارت فينا المراجعة والتأمُّل في عمل المؤلف.

وخلص البحث إلى أنَّ مؤلف الكتاب استطاع أن يفهم سِفر سيبويه فهمًا نسبيًّا، ولاسيما في المستوى الصَّوتيّ، مديرًا ظهرهُ عن المستويات اللسانيَّة الاخرى، وهو أمر فرضهُ تخصصُهُ أو مرجعيتُهُ في مجال الصَّوت.

الكلمات المفتاحيَّة: (قِراءة لسانيَّة ، صوتيات سيبويه، الكتاب).

A linguistic reading in Sibawayh's phonetics explanation book, a recent study in the phonetic system of Arabic
Through the texts of Sibawayh's book, authored by Dr. Abdel Moneim Al-Nasser

dr. Adnan Rasmi Yasser
Dhi Qar University - College of Education for Girls

Abstract:

This research is a linguistic reading in the book " offer an explanation of Sibawayh's phonetics " by his author, Dr. Abdel Monem Al -Nasser, as the chapters of the book are addressing the subject it with criticism and analysis, and we stood through it on the most prominent issues that raised us review and contemplation in the work of the author.

The research concluded that the author of the book was able to understand relatively Sibawayh's understanding, especially in the voice level, as his trace backward to other linguistic levels, which is something that his specialization or his reference was imposed in the field of sound.

Keywords:(Linguistic reading, Sibawayh phonetics, the book).

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد صلى الله عليه وعلى اله الطيبين الطاهرين وسلم.

وبعد؛

إنَّ الخوض في سِفْر مثل سِفْر سيبويه ليس من السهولة بمكان؛ لأسباب عدة : منها ما يتعلق بزمن الذي قطعه هذا السفر، وأخرى بتعدد المنتج ، بدعوة أنَّ محتوى السِّفر حوى أراءً لشيوخ سيبويه، أو أساتيذه الذين تلمذَ لهم . ولعلَّ شروح سِفْر سيبويه أزالت بعض ما غمض من كلام سيبويه، وبقي آخر مشتبه فيه؛ لانَّ القصد –على حدّ تعبير دان سبيربر– تمثُّل أو ترميز ذهنيّ[١] ؛ لذا من الصعب الإحاطة به كليًّا.

يبدو أنَّ الشروح التي عملت على تفكيك سِفْر سيبويه نظرت إليه بوصفه خطابًا لسانيًّا واحدًا يأخذ بعضه برقاب بعض، وعليه كان عملها كلًّا واحدًا، إذ لم تعمل بنظام التجزئة أو الاشتغال على مستوى لغويّ واحد مثلما فعل الدكتور (عبد المنعم الناصر) في كتابه الموسوم بـ " **شرح صوتيّات سيبويه**"، فالرجل جعل صوتيات سيبويه أُسًا لكتابه، وأهمل الانظمة اللُّغويَّة الاخرى لسببين[٢] –ذكرهما في مقدمة الكتاب– فالأوَّل منهما خلو أبواب الادغام من أية شروح للسيرافيّ لعمل سيبويه في مطبعة بولاق، فأراد سدَّ هذه الثغرة بالدرس والتَّحليل، والثاني تخصصه الدقيق في مجال الصَّوت.

يسعى هذا البحث إلى قراءة كتاب الناصر قراءة شبه لسانيَّة، وليست لسانيَّة بالمعنى الدقيق، وهو مراجعة نقديَّة للمنهج الذي اعتمده الناصر، وعليه فإنَّ هذه القراءة لاتعد نكوصًا أو طعنًا في الكتاب بل هي مشاكسة –إن جاز لنا تسميتها – غرضها رصد مستوعب الناصر لفكر سيبويه، وقد وقفنا فيه على أبرز القضايا الَّتي أثارت في الباحث شهوة السؤال، وروح المناقشة.

ولعلَّ سؤالاً يُثار مفادهُ : لماذا اختير هذا الكتاب دون غيره للرصد والمعاينة؟ والجواب عنه: أنَّ بعض شيوخي اقترح عليَّ هذا الكتاب؛ لشدة إعجابه به، وهو بهذا يصدق عليه قول الرسول محمَّد ﷺ: "**الدالّ على الخيرِ كفاعله**" . من هنا طفِقتْ بي الهمة، وأنا على يقين أنَّ من يضرب أنف الامر وعينه، فقد يفتح شيئًا عسرت مغاليقه.

ولهذا تأملتُ في الكتاب، فوجدتُ موادهُ صالحة للتعاطي معها، وقابلة للإسقاطات الذهنيّة من هنا، جاز لي أن أعصب قراءتي برأس هذا الكتاب، وأفاتش محتواه بدقة بعيدًا عن الانفعال والذاتيَّة.

ولا يماري أحد في أنَّ المرونة من صفات البحث اللغويّ، فالنتائج ليست قطعيَّة، فقد يتنازل عالم عن رأيه بفعل المراجعة، أو النقد كما حصل مع (تشومسكيّ) ، وعلى هذا فإنَّ ما قدمهُ الناصر قابل للمراجعة والتأمُّل ، فعلى الرغم من الجهد الذي بذله إلَّا أنَّ هناك بعض الهفوات التي وقع فيها، وهو أمر يعترض كلَّ باحث مادام يبحث عن الحقيقة. وهذه الهفوات منها: منهجية، وأخرى تتعلَّق باستقرائه الناقص، وثالثة – وهي قليلة جدًّا– ضعف في شرح كلام سيبويه.

أقول: إنَّ هذه القراءة لا تقلّل من العمل الرائد الَّذي قام به الناصر، ولكن هذا هو الدأب الباحثين، يفاتش اللاحق منهم السابق، ويمحّص له عثراته، ويهتدي إليها، وهذه نعمة ما بعدها نعمة.

وصف الكتاب

هذا الكتاب – في مجملِهِ– قراءة حديثة لصوتيَّات سيبويه (ت١٨٠ هـ)، إذ اختبرَ المؤلّف نصوصَ سيبويه، وأدام النظر فيها، ووضعها بالشكل الذي تستحقه في ميدان علم اللّسانيّات الحديثة.

جاء الكتابُ على ثلاثِ مئة واثنتين وخمسين صفحةً، يحتوي على مقدمة تاريخيَّة، وفصل تمهيديّ، وعشرة فصول تفصيليَّة، وخاتمة خجول، وقائمة بالمصادر والمراجع، ودليل الكتاب في الألفاظ المستعملة ضمنه.

وقد طبع الكتاب طبعة واحدة في دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان عام ٢٠١٢م.

عنوان الكتاب

انماز عنوان الكتاب بالطول فضلًا عن تكرار اسم سيبويه مرتينِ ؛ لذا يقترح الباحث أن يكون العنوان على النَّحو التالي:

" **شرح صوتيَّات سيبويه في الكتاب دراسة حديثة**"

وهنا يرد سؤال على العنوان القديم: هل لسيبويه صوتيّات انفردَ بها عن غيرهِ من العلماء علمًا أنَّ الكتاب حوى آراءً لشيوخ سيبويه؛ بمعنى أنَّ المفاهيم المطروحة لم تكن كلَّها من بنات أفكار سيبويه؟ . وهذا – في ظنّي– مؤشر سلبيّ على العنوان، زد على ذلك أنَّ قراءة كتاب سيبويه على هدي الدراسات اللّسانيَّة الحديثة محاولة جريئة تتطلبُ الدقَّة والمعاينة؛ بسبب فارق الزمن، لكن الَّذي يشفعُ للناصر وغيره من الدراسينَ تأثُّر لساني المدرسة التوليديَّة التحويليَّة والوظيفيَّة وغيرهم بأفكار سيبويه المتفرّقة في الكتاب، وهذا يشي بأنَّ هؤلاء اطلعوا على الكتاب، وأفادوا منهُ في نظريتهم حتَّى استوت على سوقها.

وهذا التأثر حميد ، ولا يُعدُّ مثلبةً ما دمنا نتباحث في الجهاز اللُّغويّ، فعلى الرغم من الاختلاف الواضح في أنظمة اللُّغات ، لكن ثمة تشابهًا في الخطوط العامَّة، وهو أمر جعل (تشومسكي) أن ينادي بالنَّحو الكلّيّ للغات العالم ، انطلاقًا من وجهة بيولوجيّة مفادها أنَّ اللُّغة ظاهرة عقليَّة بين البشر؛ أي أنَّ جميع المتكلمين يشتركون في عضو بيولوجيّ واحد هو الدماغ.

المقدمة التّاريخيَّة

تحدّث الدكتور عبد المنعم الناصر في هذه المقدمة عن حياة سيبويه ومكانته العلميّة، ثم تطرَّق إلى أهمية كتابه مستعرضًا أقوال العلماء في ذلك، ثم ذكر شروح الكتاب.

نقل الناصر في هذه المقدمة روايتينِ عن سيبويه من دون نسبة: الأولى تخصُّ تلمذته لأستاذه حمّاد بن سلمة[٣]، والثانية تخصُّ مكانته العلميَّة بين النّاس البسطاء[٤] . ولعلَّ ترك الناصر نسبة هاتينِ الروايتينِ وأمثالهما يرجع إلى شهرتهما بين الدّارسينِ، ومع ذلك كان عليه أن يذكر مصدريهما ؛ لغرض الإفادة منهما .

بيّن المؤلف الاسس الَّتي اتبعها في شرح صوتيَّات سيبويه في الكتاب، يمكن ايجازها بالآتي[٥]:

١- مناقشة المسائل في كتاب سيبويه مناقشة موضوعيَّة بالاعتماد على ما جاء في علوم اللّسانيَّات الحديثة.

٢- التَّخصص في الجانب الصّوتيّ وعدم الخوض بالجوانب الأخرى إلَّا بقدر تعلق الأمر بالنظام الصوتيّ.

٣- النَّظر إلى هذا العمل على أنَّهُ خطوة على الطريق نحو استيعاب الأفكار والنَّظريَّات التي وضعها علماء اللُّغة.

ولنا على أسسه تعقيبانِ هما:

الاوَّل : مناقشة أفكار سيبويه بالاحتكام إلى اللّسانيات الحديثة قياس باطل؛ فالكتاب أُلّف في زمنٍ غير زمننا، وهذا الصنيع أشبه بمن يركب رأس طائر على جسد انسان آدميّ .

الثاني: أَنَّ تحديد الناصر للجانب الصوتيّ في كتاب سيبويه أجدها مسالة بديهيّة؛ لانَّ عنوان كتاب الناصر يشي بذلك.

الفصل التمهيديّ

ذكر المؤلف أنَّ هذا الفصل ليس جزءًا من البحث المقصود منه شرح صوتيات كتاب سيبويه، بل هو تمهيد للدراسة الصَّوتيَّة العربيَّة من خلال نصوص سيبويه. يبحث هذا الفصل –على حدّ تعبير الناصر– في دور النظام الصوتيّ للغة في أداء وظيفتها التواصليَّة في المجتمع مع دراسة عامَّة مبتسرة لجهاز النطق عند الإنسان وبيان أقسام القناة الصوتيَّة التي تستعمل تيار الهواء التنفسيّ في إخراج اصوات كلامية بوصفها وحدات في النظام الصوتيّ ووظيفة هذا الاقسام ومحدوديتها[٦].

يؤخذ على الناصر في هذا الفصل أنّهُ لم يذكر الرئتينِ ضمن دراسته ، وكان عليه أن يدرجها ضمن جهاز النطق؛ لأنَّ لها أثرًا بينًا من الناحية الفسيولوجيَّة. وفي هذا المقام يقول الدكتور إبراهيم أنيس: " **فبغير الرئتين لا تكون عملية التنفس، وبغير التنفس لا يكون الكلام ، بل لا تكون الحياة نفسها، فبعض الاعضاء النطق قد يصيبه اضطرابٌ أو خللٌ ، ومع ذلك فتظل عملية النطق تؤدَّى في صورةٍ من الصورِ ولكن الرئتينِ لا يمكن الاستغناء عنهما في النطق**"[٧].

الفصل الأوَّل

باب عدد الحروف

أشار الدكتور الناصر في هذا الفصل إلى الحرف ومعانيه، ثم تحدَّث عن عدد الحروف عند سيبويه كما جاءت في الكتاب.

وفي المقام نفسه وزان الناصر بين منهج الخليل وسيبويه في مسألة التَّرتيب الصوتيّ، وخلَص إلى أنَّ سيبويه ساير منهج أستاذه في ترتيب النظام الصوتيّ إلَّا في بعض الأحرف؛ فغرض التلميذ ليس كغرض أستاذه .

في مقدّمة الفصل ينقلُ الدكتور قولًا لسيبويه ما نصّه:" **هذا باب عدد الحروف ومخارجها، ومهموسها ومجهورها، وأحوال مهموسها ومجهورها، واختلافها**"[٨]. وهنا يعلّق الناصرُ قائلًا: " **نلاحظ من هذا العنوان أنَّ هذا الفصل من الكتاب يتولى دراسة أمرينِ: أولهما عدد الحروف في العربيَّة، وثانيهما الصَّفات الصَّوتيَّة لهذه الحروف** "[٩].

ولعلَّ قراءة الناصر لنصّ سيبويه مبتسرة، وتعوزها الدقّة ، وهو أمر يحدونا على قراءة نصّ سيبويه من جديد وتفكيكه . أراد سيبويه من هذا الباب دراسة الأمور الآتية:

أ) عدد الحروف العربيّة .

ب) مخارج الحروف العربيّة.

ت) صفات الأصوات المجهورة والمهموسة.

ث) أحوال الأصوات المجهورة والمهموسة.

ج) الاختلاف بين الاصوات المجهورة والمهموسة.

يرى الدكتور الناصر أنَّ مصطلح الحرف يقابل ما اصطلح عليه الدرس اللساني الحديث (الفونيم). وقد تبَّنى مصطلح الحرف في دراسته؛ لربط الماضي بالحاضر فضلًا عن أنَّهُ تعامل مع الحرف بمعنى الصوت الكلاميّ[١٠]. ولي على رأيه المنوه إليه نقدان هما:

أ) أنَّ الدرس اللّسانيّ الحديث يستعمل مصطلح (الفونيم) مقابلًا لمصطلح الحرف؛ لذا كان على الناصر أن يتكيّف مع مصطلح (الفونيم) تساوقًا مع عنوان دراسته" دراسة حديثة".

ب) أنَّ تعامله مع الحرف بمعنى الصوت الكلاميّ لا يمكن قبوله من الناحية المعرفيَّة؛ لوجود فرق بينهما، وهذا ما أكَّدهُ الدكتور(تمَّام حسَّان) قائلًا: **والحروف وحدات من نظام، وهذه الوحدات أقسام ذهنيَّة لا أعمال نطقيَّة على نحو ما تكون الأصوات. والفرق واضح بين العمل الحركيّ الذي للصوت، وبين الإدراك الذهنيّ الذي للحرف؛ أي بين ما هو مادي محسوس، وبين ما هو معنوي معلوم.... (كما) أنَّ الصوت جزء من تحليل الكلام، وأنَّ الحرف جزء من تحليل اللُّغة**"[١١].

نقد الناصر دعوة بعض الدارسين فيما يخصُّ الحركات القصيرة، ومفاد هذه الدعوة: هو أنَّ نظام اللُّغة العربيَّة غير متكامل؛ لعدم وجود حروف خطيَّة تمثل الحركات القصيرة الثلاث. وقد تمثّل نقده بالطرح السليم إلَّا في بعض الامور الاوَّل منها: أنَّ الحركات القصيرة ليست ضروريَّة في معظم النصوص المكتوبة، وحجّته في ذلك أنَّ القارئ العربيّ يتمكّن من قراءة الكتب والصحف العربيَّة، وهي خالية من رموز الحركات القصيرة. والثاني منها: الاستغناء عن التنقيط على الحروف عندما يكون الموضوع مألوفًا للقارئ الذي يملك سليقة طبيعة؛ لانَّ سياق الكلام يفكُّ الكثير من الاشتباه الذي قد يحصل عند قراءة كلمة مفردة[١٢]. ولنا على رأيه بعض النقود الآتية:

١- أنَّ الحركات القصيرة -شاء أم أبى الناصر- هي دوال على معانٍ[١٣] ، وهو محجوج بذلك.

٢- أنَّ الطرحينِ السابقينِ مشروطانِ بوجود قارئ ذي سليقة، أو على تعبير تشومسكي متكلم- سامع مثالي[١٤]. وهذا القارئ الذي نوّه إليه الناصر قليل جدًّا وذو موصفات خارقة.

٣- وبالمحصلة أقول: إنَّ ما ذهب اليه الناصر أشبه بأحلام اليقظة، إذ كيف نقبل مثل هكذا رأي ونستسيغه ؟!

الفصل الثاني

مخارج الحروف

بحث الدكتور الناصر في هذا الفصل مخارج الحروف العربية كما دشّنها سيبويه في الكتاب، فتارة نجده ينصف سيبويه، وأخرى ينتقدهُ بخفة.

ذكر الناصر في مقدمة الفصل رواية دون نسبة يبين فيها ريادة الإمام عليّ (عليه السلام) في استعمال المخرج، وذلك حينما وصف التلاوة [١٥]، وكان على الناصر أن يذكر مصدر[١٦] تلك الرواية استنادًا إلى منهجية البحث العلميّ.

يرى الناصر أنَّ نطق الضَّاد مثيلة للظَّاء لا يمثل الضَّاد الاصلية ؛ لأنّ مخرجها ليس من بين الثنايا حيث مخرج الظَّاء، بل هو صوت مجاور للأضراس، بينما تخرج الظاء من بين الثنايا[١٧]. ثم أخذ ينقضُ رأيه السابق في مكان آخر قائلًا: " **غير أنَّ لفظه مثيلًا للظَّاء (يقصد الضَّاد) أقرب لقيمته الصَّوتيَّة الأصليَّة من لفظه مثيلًا لدالٍ مطبقة**"[١٨].

ولاشكَّ في أنَّ التناقض الذي وقع به الناصر سببهُ صوت الضَّاد نفسه فهو صوت عصيّ على الفاحص مخرجًا ونطقًا، ومن الصَّعب بمكان أن نميزه عن الظاء.

الفصل الثالث:

صفات الحروف

تحدَّث الناصر في هذا الفصل عن صفات الحروف عند سيبويه كما جاءت في الكتاب؛ أي أنَّهُ ردد بضاعة سيبويه بقضها وقضيضها إلَّا في بعض المناطق، فإننا نجد الدكتور يبسطُ ويضيفُ على كلام سيبويه ، أو يستعين بكلام الآخرين لفكّ شفرات صاحب الكتاب.

نظر الدكتور الناصر إلى مصطلح المخرج بأنَّه واحد من الصَّفات الصَّوتيَّة، وهو رأي يثير العجب والغرابة لنتأمّل قوله في هذا المقام: " **وينبغي التأكيد مبكرًا على أنَّ المنهج الذي يتبعه عملنا هذا هو أن ينظر الى مخرج الحرف... بانَّهُ واحد من الصَّفات الصَّوتيَّة للحرف. لذا فإنَّ اختيار عبارة صفات الحروف لتكون عنوانًا لهذا الفصل سيشمل صفة المخرج مع بقية الصفات الصَّوتيَّة للحروف**"[١٩].

وهذا الرأي لا يستريح إليه البحث ولا يتعاطى معه ؛ لأنَّهُ يثيرُ اللبسَ بين الباحثين، فالمخرج شيء والصفة شيء آخر. وهذا من البديهيات الّتي دأب عليها الدارسون للنظام الصوتيّ.

وصف سيبويه الصَّوتَ المجهورَ بأنَّهُ "**اشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجرى معه...**" [٢٠]. وقد ناقش الناصر مصطلح الاعتماد عند سيبويه، ولم يوفق في تحديده، فتاره نجدهُ يحدُّ مصطلح الاعتماد بانَّهُ وصف عمل معين في القناة الصوتيَّة[٢١]. وأخرى بانَّهُ التعبير عن الاحساس بوجود الموجة الصوتيَّة الخاصَّة بصفة الجهر التي تمنح الصوت الكلامي طاقة صوتيَّة عالية تجعل السامع يشعر بقوّة الصوت وإشباعه. وثالثة يحدُّ هذا المصطلح بأنَّهُ مخرج الحرف في القناة الصوتيَّة[٢٢].

ولعلَّ تقديم الناصر لهذه التحديدات يشي بغموض مصطلح الاعتماد عند سيبويه ، وقد علّل الدكتور (تمَّام حسَّان) هذا الغموض قائلًا:" .... **لأنَّهُ لا يسمى ظاهرة يمكن ضبطها**"[٢٣]. ومع ذلك، فقد عثرنا عند تمَّام تحديدًا لمصطلح الاعتماد حين شرح كلام سيبويه عن الصوت المجهور قائلًا: " **ومنشأ الاعتماد وموضعه هو الحجاب الحاجز الضاغط على الرئتينِ لإفراغ ما فيها من هواء وهو الاعتماد أو الضغط**"[٢٤].

إذًا الاعتماد عند تمَّام هو الضغط استنادًا إلى عبارته الاخيرة ، وعليه، يكون تعريف سيبويه للصوت المجهور على رأي تمَّام: حرف أُشبع الضغط في موضعه. وهذا التَّحديد مقنع نوعًا ما، ويسلم به الباحث بدلًا من تحديدات الناصر غير الموضوعية.

ذكر الناصر أنَّ سيبويه جعل الهمزة صوتًا مجهورًا استنادًا إلى التغيير في صفاتها الصوتيَّة، فهي قد تتحوّل إلى همزة بين بين، أو عندما تسبقها همزة أخرى متحركة، وتلين في مواقع معينة، وتتحوَّل إلى حركة في مواقع اخرى. ومن أجل ذلك، عدَّ الناصر سيبويه مصيبًا في تصنيف الهمزة مع الحروف المجهورة. ثم أخذ يخالف سيبويه قائلًا: " **وأرى أنَّ من المناسب أن توصف الهمزة بأنَّها غير مجهورة، وهو رأي يقول به بعض علماء الصوتيّات المحدثين، ولا يتعارض مع رأي سيبويه**"[٢٥] .

إنَّ الاختلاف في صفة الهمزة وارد، وقد بحثهُ المشتغلونَ في علم الاصوات الحديث[٢٦]، ولا داعي إلى أن أذكره في هذا المقام؛ لأنَّهُ اشبع بحثًا واجترارًا، لكن عبارة الناصر "**ولا يتعارض مع رأي سيبويه**" تثيرُ الاستغراب والدهشة؛ فكيف لا يتعارض المجهور مع غير المجهور؟ وهذه إحدى المغالطات الَّتي وقع بها الناصر، وهو ملوم بذلك.

الفصل الرابع

أبواب الادغام

أشار الناصر إلى أنَّ سيبويه بحث في القسم الاخير من كتابه موضوع الادغام وتبعه مباشرة بعنوانات لأبواب أخرى تضارع الادغام وتشترك معه منها: الإخفاء والإمالة، والإبدال....

والجاذب للانتباه أنَّ الناصر ساير سيبويه في مفهوم الادغام، فبنى من كلامه فقرات أثَّث فيها كتابه. ويمكن أن نحددها بالآتي:

- مفهوم الادغام لغةً واصطلاحًا.
- أبعاد مصطلح الإدغام.
- البيئة الصوتيّة للإدغام.
- أسباب الإدغام.
- اتجاه الإدغام

زبدة المؤاخذات على الناصر في هذا الفصل أنَّهُ جعل لصفة الصوت دورًا في تحديد معنى الكلمات[٢٧]. وهو كلام واهٍ يحتاج إلى تدبُّر قبل إصدار الأحكام القطعية. ولنا على كلامه أمران هما:

١- أنَّ المسؤول عن المعنى هو الكلمة إن على مستوى التَّجريد، وإن على مستوى الاستعمال التَّداوليّ أو تجليات الكلام.

٢- يمكن القول: إنَّ صفة الصوت لها أثر في زيادة المعنى لا في تحديد المعنى. وهذا ما أكّدهُ ابن جنّيّ حين حلَّل قوله تعالى: ﴿ **ألم ترَ إنَّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم** ازا﴾[٢٨] قائلًا: " **فهذا في معنى تهزَّهم هزًّا، والهمزة أخت الهاء...**

وكأنّهم خصوا هذا المعنى بالهمزة؛ لأنّها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم في النفوس من الهزّ؛ لأنّك قد تهزُّ ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك"[٢٩]. ولعلَّ ما ذهب إليه (ابن جنيّ) يدخل ضمن مجال القوّة الغيبية للكلمات، وهو أمر تجاوزته لسانيات سوسير في أثناء دراساتها[٣٠].

الفصل الخامس

دور الصفات الصوتيّة في عمليات المضارعة بين الحروف

بحث الناصر في هذا الفصل أثر الصفات الصوتيَّة في حدوث الادغام، وما تؤدّي إليه من تماثل في الصفات الصوتيَّة بين الحروف، فضلًا عن بعض العوامل التي لها تأثير في احتمال حدوث الإدغام بين الحروف، كالبينة المقطعيَّة والبناء النحويّ وقوانين تآلف الحروف في الكلمة....

ذكر الناصر في مقدمة الفصل أنَّ الحروف يجب أن يكون بينها تباين؛ ليسهل التلفظ بها. ثم أشار في معرض حديثه إلى صعوبة اجتماع حروف الصفير في آنٍ واحدٍ مستدلًا إلى نقض هذا الطرح بكلمة ضيزى في قوله تعالى: ﴿**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**﴾[٣١] . وبيّن أنَّ هذه الكلمة انفرد بها كتاب الله، ولم تستعمل في الشّعر العربيّ، وأخذ يعلل الغرض الذي سيقت فيه قائلًا: " **أغلب الظنَّ أنَّ المعنى المراد منها أنَّ القسمة وصفت بهذه الكلمة التي فيها حرفان غير منسجمين صوتيًّا للدلالة على أنَّها قسمة غير عادلة كما قال المفسرونَ، مثلما أنَّ اجتماع الزاي والضاد فيها يُعدُّ غير مقبول؛ لأنَّهُ مخالف لقوانين اجتماع الحروف في العربيَّة**"[٣٢]

ولنا على كلامه المذكور آنفًا الامور الآتية:

١- أنَّ عدم اجتماع حروف الصفير في التأليف أمر بديهيّ ، وقد قال به علماء الصَّوت القدامى.

٢- أنَّ كلمة (ضيزى) موجودة في أشعار العرب وهو محجوج بذلك. ومنه قول أمرئ القيس:

ضازتْ بنو أسدٍ بحكمِهِمُ إذ يعدلونَ الرأسَ بالذَّنبِ[٣٣] .

٣- أنَّ تخريج الناصر لاجتماع حرفي الصفير في (ضيزى) تخريج غير علميّ ، إذ استند فيه إلى رأي المفسرينِ، وعليه؛ فالتخريج الذي قال به يتعارض مع اللسانيَّات التي اسبغ العلماءُ عليها صفة العلميَّة .

الفصل السادس

المضارعة بين الحروف

بحث الناصر في هذا الفصل الادغام عند سيبويه بوصفه مبحثا عامًّا لحالات المضارعة بين الحروف. والجاذب، أنَّ سيبويه وضع لباب الادغام أبوابًا فرعيّة، وقد أخذ الناصر بها، ورتّبها كما رتّبها سيبويه في الكتاب وهي:

- باب الإدغام في الحرفين اللذينِ تضع لسانك لهما موضعًا واحدًا لا يزول عنه. فيها جميعًا.
- باب الادغام في الحروف التي هي من مخرج واحد والحروف المتقاربة مخارجها.
- باب الادغام في حروف طرف اللسان والثنايا.
- باب الحرف الذي يضارع به حرف من موضعه، والحرف الذي يضارع به ذلك الحرف وليس من موضعه.
- باب ما تقلب فيه السين صادًا في بعض اللُّغات.
- باب ما كان شاذًّا مما خففوا على السنتهم وليس بمطّرد.

ناقش الناصر آراء سيبويه في هذه الابواب مناقشة دقيقة، واستطاع أن يخرج بنتائج عن منهجه في هذا الموضوع ، وعن خصائص البينة العربيَّة الصَّوتيَّة. ولعلَّ من أبرز هذه النتائج- بحسب رأينا- شيوع الوصف في الآراء التي نقلها سيبويه من لغات العرب، وهو أمر أخذت به اللسانيّات البنيويَّة فيما بعد.

في باب الإدغام في الحرفين اللذينِ تضع لسانك لهما موضعا واحدًا.... ذكر الناصر في تاء الافتعال أنَّ هذه التاء إذا جاءت مع تاء أخرى من أصول الكلمة حصلت الفرصة لإدغام المثلين عند توفر شرط الادغام نحو: اقتَتَلوا ، يقتَتِلون. ثم أخذ ينسف هذا الطرح بانَّ الادغام في هذه الحال غير ملزم -اعتمادًا على ما ذهب إليه

سيبويه في الكتاب– وحجيته في ذلك أنَّ تاء الافتعال ليست من أصول الكلمة مقارنًا هذا التضعيف بآخر في حرفينِ من الاصول كما في يردُّ ويستعدُّ حيث أُدغم المثلان(٣٤). وهذا الرأي حميد يمكن الوثوق به ، لكن الناصر نقل عن سيبويه رأيًا مفاده أنَّ بعضًا من العرب أدغموا المثلينِ المذكورينِ في اعلاه؛ لتجاورهما في الوصل ؛أي مجيئهما في كلمة واحدة فقالوا : يقِتّلون فالملاحظ هنا – والرأي للناصر– أنَّ القاف كسرت اتباعًا لكسرة التاء الثانية التي في يقتَتِلون بعد سكون الاولى للإدغام، فتجاورت القاف مع التاء المشددة والمتحركة بالكسر(٣٥).

يبدو أنَّ الناصر لم ينتبه إلى أنَّ كسرة القاف نتيجة الاتباع الحركيّ لكسرة التاء الثانية جعلت الكلمة ثقيلة في النطق علمًا أنَّ غاية الادغام هي التماس الخفة على حدّ تعبير سيبويه، وعليه، لو بقيت الكلمة من دون إدغام، لكانت أخفَّ على اللسان من إدغامها.

وفي المقام نفسه أشار الناصر إلى أنَّ سيبويه ذكر شكلًا آخر للإدغام الحاصل بموجب قاعدة الاتباع الحركيّ بفتح القاف (قَتَّلوا) . وهنا يعلّق الناصر قائلًا " **جاءت فتحة القاف اتباعًا لفتحة التاء الثانية**"(٣٦). وهذا الادغام يمكن قبوله والتعاطي معه؛ لأنَّه حقّق الغاية من الإدغام التي هي التماس الخفة.

الفصل السَّابع

الهمز

في هذا الفصل بحث الناصر أحوال إخراج الهمزة عند سيبويه وهي ثلاثة اشياء: التَّحقيق، والتَّخفيف، والإبدال، مصرحًا أنَّ هذه التغيرات هي عمليات إضعاف للهمزة على اعتبار أنَّ الهمزة صوتٌ عصيٌّ على النطق ، وهذا ما أكّدهُ الرّضيّ الاستراباذيّ قائلًا: " **و لها نبرة كريهة تجري مجرى التّهوُّع**(٣٧) "(٣٨).

إنَّ صوت الهمزة –إن جاز لنا الوصف– يشبه دور العميل المزدوج؛ فهو عليل إذا تغيَّر من سياقٍ إلى آخر، وأخرى صحيح في حال عدم تغيّرهُ في السَّياق الكلاميّ. وبالمحصلة، احتكم سيبويه في معرفة أحوال الهمزة وكيفية إخراجها إلى الذوق(طريقة اختبار الصَّوت) والبيئة الصَّوتيَّة التّداوليّة.

الفصل الثامن

المضارعة بين الحركات

درس الناصر في هذا الفصل عمليات المضارعة بين الحركات عند مجاورتها للحروف والحركات، واستطاع أن يرصد ملاحظ سيبويه عن الإمالة بوصفها مظهرًا من مظاهر التماس الخفة.

ولعلَّ الناصر كان موفقًا في قراءة فكر سيبويه عن تلك الظاهرة الصوتيَّة، إذ نجدهُ يستدلُّ بآراء سيبويه، ويحللها على وفق فهمه لها. ومن الأمور المهمة التي أشار اليها الناصر اهتمام سيبويه بإمالة الالف دون الواو والياء، فقد طرح الناصر السؤال الآتي : لماذا اهتمَّ صاحب الكتاب بإمالة الالف أكثر من اهتمامه بغيره من الحركات الطويلة؟ وهنا يجيب الناصر بقوله: " **لأنَّها أكثر الحركات الطويلة عرضة للتأثر بما يحيط بها من حروف وحركات في الكلام**"(٣٩).

وهذا التعليل الذي ساقهُ الناصر اجتماعيّ أكثر مما هو علميّ ، إذ وُلد تحت تأثير المجتمع ، فهو– اذًا– ذو طابع تداوليّ بامتياز .

وفي معرض حديثه عن أثر البيئة الصَّوتيَّة في عمليات المضارعة بين الحركات يرى الناصر أنَّ للبيئة الصوتية أثرًا في المضارعة بين الحركات، وهو أمرٌ قد يؤدّي إلى مخالفة قوانين النّحو، فقد يُكسر ما حكمهُ الضمّ، ويستدلُّ بالمثال المشهور: **(هذا جحرُ ضبٍ خربٍ)** فخرب كسر وحكمه الضمّ ؛لأنَّ اللفظ صفة للجحر وليس للضبّ. وهنا يعلّق قائلًا : " **وقد وقعت المضارعة بتأثير المجاورة، حيث ضارعت حركة خرب حركة إعراب التي جاءت قبلها مباشرة وهي ضبّ التي كسرت بالإضافة، فصارت الضمة كسرت بالمجاورة**"(٤٠)

ولنا على كلامه الاخير الامور الآتية:

١– أنَّ مبدأ المجاورة في التوابع موجود، ولا يماري أحد فيه خلافًا لابن حنيّ(٤١).

٢– أنَّ المثال الذي استدلَّ به الناصر وغيره من السابقين قد يكون موضوعًا ورائحة الوضع تفوح منهُ والدليل على ذلك أمران هما:

أ) أنَّ كلمة (خرب) جاءت مقطعًا في الجملة لم تعقبها كلمة أخرى، فعند النطق بها تُنطق ساكنة .

ب) أنَّ الضبَّ لا يبني جحره إلَّا في الأماكن المتماسكة الصلبة [٤٢].

٣- أنَّ المثال يخالف القاعدة النحويَّة في اللفظ فقط وليس في المعنى، والعبرة في المعنى لا في اللفظ.

وعن تفسير شيوع ظاهرة الإمالة في الألف ينقل الناصر نصًّا لسيبويه يفسّر فيه الاخير شيوع ظاهرة الإمالة في الالف، مفاد هذا النصّ: أنَّ الالف تشبه الياء فأرادوا أن يقرّبوا منها. من هنا يظهر التأثير العام للياء والكسرة على الالف والفتحة فتتعرضان للإمالة[٤٣].

من الواضح أنَّ الناصر لم يشر إلى موضع شبه الالف بالياء حين ذكر نص سيبويه، وأغلب الظنّ أنَّهُ ترك ذلك ؛ لأنَّ الشبه بين هذه الاحرف العليلة[٤٤] ممضوغ في كلّ لسان، فلا يماري أحد فيه.

الفصل التاسع

البينة المقطعيَّة العربيَّة

بحث الناصر في هذا الفصل المقطع الصَّوتيّ في العربية؛ اذ مهَّد له بعرض تاريخيّ حول المقطع، ثم بسط القول فيه من الناحية الفسلجيَّة والفكريَّة، ثم بعد ذلك ناقش مفهومه، ونوعه، وبنيته، وعدده، مسلطًا الضوء على النَّبر بوصفه أحد التجليات الرئيسة في البينة المقطعية الصَّوتيّة.

يبدو أنَّ الاشياء التي عرض لها الناصر في هذا الفصل لم تكن جديدة على الساحة البحثية، فقد نظَّر لها العلماء السابقون، واشبعوها بحثًا واجترارًا. والجاذب في الفصل أنَّ الرجل كان زاهدًا في نقل آراء سيبويه؛ إذ لم نجدهُ –كما فعل في الفصول السابقة– يبسط آراء صاحبه في الموضوعات الصوتيَّة، ويحلّلها على وفق منظوره اللسانيّ الحديث. ومع ذلك سنتناوشُ نقولات الناصر ونعلق عليها.

يرى الناصر أنَّ المقاطع الصوتية لها وجود في فكر المتكلمين، فالمتكلّم يخزنُ في فكره معلومات عن بينة المقاطع الصوتيَّة للغته الام، وتصبح جزءًا من ملكته اللسانية، وينظم كلامه بموجب قوانينها الصوتيَّة(٤٥) .

إنَّ وجود المقطع في فكر المتكلمين يشي بأطروحة اللُّغة الفطريَّة التي تبنتها الفلسفة العقلانيَّة ثم (تشومسكي) فيما بعد. وتنصُّ هذه الأطروحة على أنَّ الانسان مزود بعقل فطريّ يمكّنه من انتاج اللُّغة وممارستها. " **وهي على هذا الاساس تنتمي إلى الارث الجينيّ للنوع البشريّ، مثلها مثل الحمض النوويّ (AND)...**" (٤٦).

وفي حديث له عن المقدار الكميّ للمقاطع الطويلة الاصليَّة يرى الناصر أنَّ المقدار الكميّ للمقطعينِ الصَّوتيينِ الاصليينِ في العربيَّة متساويانِ بالقيمة العروضيَّة، ودليلهُ على ذلك أنَّهُ بالإمكان إبدال المقطع الطويل المغلق بمقطع طويل مفتوح دون أن يتأثر وزن البيت ومثَّل لذلك ببيتٍ للمتنبيّ:

كفتْك المروءةُ ما تّتقي وآمنك الودُّ ما تحذرُ (٤٧) .

يعلّق الناصر لإثبات اطروحته بالآتي: إذا أُبدلت (من) بـ(ما) في شطري البيت، فلن يختل وزن البيت ؛ لانَّ (ما) تتألف من مقطع طويل مفتوح : ميم والف ،و(من) من مقطع طويل مغلق: ميم وفتحة ونون، وكلا المقطعينِ متساويانِ في القيمة الكميَّة، فلم تتغير البينة العروضيَّة، حيث تساوت القيمة الصوتيَّة لكلمة (ما) مع كلمة (من) من الناحية العروضيَّة(٤٨).

يتفق الباحث مع الناصر فيما عرض إليه، فالرّجل جاء بالشاهد؛ من أجل إثبات حجية تساوي المقطعينِ ، وهو مصيب في ذلك. أما من ناحية المعنى فأرى أنَّ وجود (ما) ضرورة ملحة ، ولا يمكن أن تحلَّ (من) مكانها؛ بدليل أنَّ (ما) لغير العاقل، وقد تساوقت مع القصد، فالمتنبيّ أراد لصاحبه الوقاية والحذر من الأشياء غير العاقلة دون الإنسان ومثالها: النَّار، والافاعي، والسَّباع الضَّارية ونحو ذلك. وعليه وجود (من) في السياق الافتراضيّ الذي قال به الناصر يستلزم أن يحذرَ المخاطَب من الانسان نفسه، لا من الاجناس غير العاقلة .

الفصل العاشر

دراسة إحصائيَّة عن مقادير تردد الحروف والحركات في العربيَّة.

عَمِلَ الناصر في هذا الفصل دراسة احصائيَّة عن مقادير تردد الحروف والحركات في النظام العربيّ ، وهو عمل يدخل ضمن اللّسانيَّات التَّطبيقيَّة(٤٩)، وقد مهَّد له بعرض تاريخيّ عن النظام الابجديّ في اللُّغات المشرقية التي سبقت العربيَّة، والجاذب، أنَّ الناصر أشار إلى السبب الَّذي من أجله نهض هذا العمل الشاقّ وتشوَّف إليه قائلًا:" **كانت العربيَّة تكتب سابقًا خالية من الشكل ومن النقط الذي اصطلح عليه بالإعجام. وهناك نسخ قديمة جدًّا من القران الكريم محفوظة في المتاحف العالميَّة، وقد شاهد صاحب هذا العمل نسخة منها في المُتحف البريطانيّ في لندن.... وكانت مكتوبة بما يسمى بالخطّ المائل خالية من النقط والشكل. أثارت هذه المعلومات رغبة مؤلف هذا العمل في البحث عن تاريخ الخطّ العربيّ ونظام الحروف فيه ، والعلاقة بين الحروف المكتوبة والأصوات الكلاميَّة، وأسباب ونتائج تفرّد العربيَّة بستة أحرف عن بقية اللغات المشرقيّة، وأسس نقط الحروف. لم يكن هناك الكثير من المصادر العلميَّة التي تعين الباحث في هذا الصدد، فرأيت أنَّ أجد السبيل للوصول إلى بعض الحقائق هو إجراء دراسة احصائيّة عن معدل تردد الحروف والحركات في العربيّة**"(٥٠). ثم عرض الناصر بشيء من الابتسار الاعمال الاحصائيَّة المشابهة لعمله، ونقد منهجها؛ لأنَّها –بحسب رأيه– ركزتْ على الحروف المكتوبة ، وأهملتِ الحركات، ثم بيَّن في مكان آخر منهج البحث والأساس الذي اعتمدهُ في الاحصاء(٥١).

والجدير بالذكر أنَّ النصوصَ(العينات) التي خضعت لمبدأ الاحصاء كانت عشوائية– مثلما ذكر– وعليه لم نتمكن من مراجعة تلك النصوص؛ لأنَّ الناصر لم يشر إليها في الكتاب إشارة تستحقُّ المعاينة والرصد، وهو معذور في ذلك؛ لكثرتها، وتنوع مرجعياتها الإبستيمولوجيّة. ولعلَّ من المفيد أن الخّص نتائجه الرئيسة التي توصَّل إليها عن تردد الحروف والحركات في النظام العربيّ، وأعلّق عليها ضمن الآتي.

١- الحروف الصحيحة

بلغ عدد الحروف الصحيحة 126004حرفًا كونت نسبة 4 .56% من مجموع العينة الداخلة في الاحصاء وهي287241. كان الاحرف الاكثر ورودًا في العربية هو اللام وجاء بنسبة 047944 .15% إذ تردد 24378 مرة من المجموع الكليّ. وبعد اللام يأتي حرف النون بنسبة تردد260349 .10% ومقدار 16622 وبعدهما حرف الميم بنسبة 8.059156%. بمقدار13056 مرة [٥٢].

إن كثرة تردد اللام في النّظام الصوتيّ العربيّ حقيقة أشار لها الجاحظ في سِفره كما ذكر الناصر، وبالمحصلة، فالناصر والحال هذه أشبه بمن فسّر الماء بعد الجهد بالماء؛ فالجاحظ على الرغم من تقادم الزمن، فإنَّهُ صرّح بالمنهج الإحصائيّ قبل أن يذكر الحقيقة المذكورة آنفًا[٥٣].

٢- الحركات

بلغ عدد الحركات التي أحصاها الناصر 237 125 حركة طويلة وقصيرة. وقد بلغ مقدار تردد الحركات الطويلة(الالف والياء والواء) مجتمعة 885 25 ازاء350،99 للحركات القصيرة(الفتحة والكسرة والضمة). وبالمحصلة كانت نسبة تردد الحركات القصيرة الى الحركات الطويلة1:3.837337 ؛ أي ما يقارب أربع مرات، وبمعدل33 .79%، مقابل 20.67% للحركات الطويلة[٥٤].

توصل الناصر ضمن فصيلة الحركات الطويلة إلى أن حرف الألف تردد بمقدار18256 مرة ، وجاء بعده حرف الياء بمقدار 4799 مرة ،ثم جاء حرف الواو بمقدار 2837 مرة ، فكانت النسبة المئوية بينهن 70.52% للألف و18.54 للياء و 10.94% للواو. أما ضمن فصيلة الحركات القصيرة، فقد جاءت الفتحة بالمرتبة الاولى بمقدار56648 مرة، والكسرة ثانيًا بمقدار 28250 مرة، والضمة ثالثًا بمقدار 14452مرة. فكانت النسبة المئوية بينهن 27.01862% للفتحة و28.43482 % للكسرة و14.54655 % للضمة. [٥٥].

لا مراء في أنَّ النتيجة التي توصل إليها الناصر في خفة حركتي الألف والفتحة موجودة عند سيبويه ، ومبثوثة في سِفره؛ بدليل أنَّ الناصر ذكر ذلك بصريح القول [٥٦].

وهو أمر يشي بأنَّ الافكار التي قدمها في هذا العمل لم تكن جديدة على دراسي النَّظام الصَّوتيّ العربيّ.

تحدَّث الناصر في هذا الفصل عن مقادير تردد المقاطع الصوتيّة – وهي بلحاظ قراءتنا نجدها مقحمة– إذ ركز في عمله على المقاطع الحرةّ، وأهمل المقيدة ؛ لأنَّها عرضة للتغيرات التي تطرأ عليها كالوقف والاختلاس... الخ.

بلغ عدد مقدار المقاطع الصوتيَّة التي أحصاها الناصر 125237 مقطعًا من الانواع الثلاثة الحرّة مجتمعة. فقد جاء تردد المقطع الطويل المفتوح بالمرتبة الأولى بمقدار 49338 ، ثم جاء بعده بالمرتبة الثانية المقطع القصير المفتوح بمقدار 39132 ثم بالمرتبة الاخيرة المقطع المغلق بمقدار 36767، فكانت النسب المئوية بينهن 39.39571% للطويل المفتوح و31.24635% للقصير المفتوح و29.35794% للمغلق[٥٧].

ولعلَّ سيادة المقطع الطويل المفتوح على المقاطع الاخرى تبين أنَّ بيئة اللّسان العربيّ التداوليّة بيئة مفتوحة لا تتشوف إلى السُّكون، فهي ديناميكيّة بطبعها استنادًا إلى المنابت والمشارب المعرفيَّة.

الخاتمة

لا يساورني الريب في أنَّ قراءتنا لهذا الكتاب(**شرح صوتيات سيبويه**) يمكن أن تدخل في نقد النقد، فهي تحاول أن ترقب بعين ثالثة الكيفية التي تلّقى فيها الناصر أرث سيبويه، وعليه فإنّنا أمام عقلينِ الاوّل منهما: متوقد عارفًا بدهاليز اللُّغة ومكنوناتها، والثاني قارئ جيد يؤول كيفما يشاء، بدعوة أنَّ النصَّ آلة كسول، يحتاجُ إلى قارئ لتنشيطه ، وبهذا ينفتحُ ويتعددُ.

وهذا الانفتاح لطيف يسبغُ على النصّ تأويلاتٍ كثيرةً، ومن ثم فالقراءةُ قد تصيبُ الغرضَ أو بعضه، وقد لا تصيبُه تبعًا لصاحبها، فهناك من يقرأ قراءة عجلى، وآخر يقرأ برويةٍ وتأنٍ؛ للحصول على طريدته المتمثلة بالمعنى . واشتعال العمل أو النصّ بالطريقة الثانية يخرجهُ من حيز السُّكون إلى حيز الحركة ، ومن المجهولِ إلى المعلومِ، ومن العتمةِ إلى النورِ، وهذا كلُّه بفعل القراءة الواعية.

يبدو أنَّ قراءة الناصر لسيبويه انتقائيَّة بامتياز ؛ ولهذا نطمحُ أن تكون لهذه القراءة تأثير على الباحثين؛ لغرض البحث في أحد المستويات اللّسانيَّة على غرار ما فعلهُ الناصر، ومن ثم نحصل على مؤلفات من قبيل: شرح صرفيّات سيبويه، وشرح نحويَّات سيبويه.. الخ.

أما النتائج التي توصَّل إليها البحثُ، فيمكن عرضها على النَّحو الآتي:

١- اعتمد الناصر على أكثر من منهج تبعًا لمعطيات البحث، فاستعان بالمنهج التاريخيّ والمنهج الوصفي التَّحليليّ ، والمنهج الإحصائيّ.

٢- أنَّ العلاقة بين شرح الناصر لعمل سيبويه والشروح التُّراثيَّة الأخرى علاقة الخاصّ بالعامّ، فالناصر درس جانبًا واحدًا من جوانب اللُّغة وهو الجانب الصَّوتيّ ، في حين أصحاب تلك الشروح درسوا سفر سيبويه كاملًا بوصفه منظومة لسانيَّة حافظة للغة.

٣- قدَّم الناصر جملة من النقود لمنهج سيبويه ، وهو أمر حميد يعكس صفة الموضوعيّة في البحث العلميّ، ويؤيد الزعم القائل: لا قداسة في الفكر.

٤- عدم التزام الناصر في نسبة النقولات إلى مظانها الرئيسة، ومرد ذلك شيوعها بين الدراسين، أو أنَّ الالسن لاكتها، فهي ممضوغة في كلّ لسان ، لكن هذا الصنيع قد يبرر الناصر وقد لا يبررهُ؛ لانَّ ترك النصوص تسبحُ هكذا في المتن من دون مرجعية هو خيانة لأصحابها حتَّى لو خضعت لمعيار التَّداول.

٥- لحظ البحث أنَّ الناصر يعيد شرح نصوص سيبويه، ويكررها بحسب ما يقتضيه الفصل. وهذا يقلص- بتعبير دي بوجراند- من الكفاءة الاعلاميَّة للعمل ، ومن ثم يعطي انطباعًا بالملل.

٦- لم يشر الناصر إلى النصوص التي حددها في دراسته الاحصائيّة ؛ لكثرتها وتنوع مصادرها الابستمولوجيّة، وكان حريًّا به أن يدبَّج – في الاقل- عنواناتها في ملحق من الملاحق؛ حتَّى نتمكن من مراجعتها.

٧- يمكن القول: إنَّ الحقائق التي توصَّل لها الناصرُ في شرح صوتيات سيبويه ليست قطعية أو ثابتة، بل بالإمكان دحضها، وإعادة النظر فيها.

هوامش البحث

(١) ينظر: نظرية الصلة أو المناسبة :٦٧.

(٢) ينظر: شرح صوتيات سيبويه :٨.

(٣) ينظر: شرح صوتيات سيبويه :٤. وبعد إدامة النظر في المصادر عثرت على الرواية الأولى عند الزجاجيّ . ينظر مجالس العلماء:١١٨.

(٤) ينظر: المصدر نفسه:٦. أورد ياقوت الحمويّ الرواية الثانية في معجم الادباء:١٦/١٢٣.

(٥) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٨.

(٦) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٩.

(٧) ينظر: الأصوات اللُّغويَّة: ٢١-٢٢.

(٨) الكتاب: ٤: ٤٣١.

(٩) شرج صوتيات سيبويه:١٩.

(١٠) ينظر: المصدر نفسه:٢٢.

(١١) اللغة العربية معناها ومبناها:٧٣-٧٤.

(١٢) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٢٩-٣٠.

(١٣) ينظر : إحياء النحو، مصطفى جواد:٤٢.

(١٤) ينظر: النحو العربيّ والدرس الحديث بحث في المنهج، عبدة الراجحي:١١٤.

(١٥) ينظر : شرح صوتيات سيبويه:٦٣.

(١٦) لم اعثر على سند يؤيد قول الناصر في ادعائه أنَّ الامام علي (عليه السلام) قد استعمل المخرج في سياق حديثه عن التلاوة . ينظر على سبيل المثال الكامل في القراءات العشر والاربعين الزائدة عليها : أبو القاسم الهذلي،٩٣.

(١٧) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٧٠

(١٨) المصدر نفسه:٧٣

(١٩) شرح صوتيات سيبويه:٨٩.

(٢٠) الكتاب: ٤/٤٣٤.

(٢١) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٩٨.

(٢٢) ينظر المصدر نفسه:١٠٠.

(٢٣) اللغة العربية معناها ومبناها:٦٠.

(٢٤) المصدر نفسه:٦١.

(٢٥) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:١٠٤.

(٢٦) ينظر على سبيل المثال علم الاصوات، كمال بشر:٢٨٨ وما بعدها.
(٢٧) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:١٠٤.
(٢٨) سورة مريم ، ٣٨.
(٢٩) الخصائص: ١/ ٤٩٩.
(٣٠) الاصول دراسة ابستمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو ، فقه اللغة، البلاغة، د. تمام حسان،٢٣٨.
(٣١) سورة النجم، ٢٢.
(٣٢)ينظر: شرح صوتيات سيبويه:١٩٠.
(٣٣) البيت لم يرد في ديوان امرئ القيس، وقد ذكره السيوطيّ في الاتقان في علون القرآن: ٨٩٣/٣.
(٣٤) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٢٢٧.
(٣٥) ينظر: المصدر نفسه. الصفحة نفسها.
(٣٦) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٢٢٧.
(٣٧) التهوع: القيء . معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس:٦:١٩.
(٣٨) شرح الشافية: ٣/ ٢٥.
(٣٩) شرح صوتيات سيبويه:٢٧٥.
(٤٠) ينظر: المصدر نفسه:٢٧٩-٢٨٠.
(٤١) ينظر: الخصائص :١/١٩١-١٩٢
(٤٢) ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيميّ، د. أحمد طالب الإبراهيميّ: ٤٤/٢-٤٥.
(٤٣) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٢٢٧.
(٤٤) أشار سيبويه إلى هذا الشبه في (باب الحرف الذي تبدل مكانه في الوقف حرفًا أبين منه ويشبهه). ينظر: الكتاب:٤: ١٨١-١٨٢.
(٤٥) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٢٢٧.
(٤٦) الفرضية الفطرية وطريقة اشتغال اللغة، د. محمد بلبول، بحث ضمن سلسلة دراسات لسانية بعنوان لسانيات تشومسكي مراجعة نقديّة في الاسس المعرفيّة، تحرير يوسف اسكندر ومؤيد آل صوينت: ٣٣/١.
(٤٧) ديوان المتنبي:٣٤٤.
(٤٨) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٢٢٧.
(٤٩) تعنى اللسانيات التطبيقيَّة بتعلم اللغة الاولى وتعليمها ، والتعدد اللُّغوي ،والتخطيط اللُّغويّ، وأمراض الكلام، وعلم اللغة الاجتماعيّ، وعلم اللغة النفسيّ،

والترجمة، والعمليات الحسابية والإحصائية. ينظر: علم اللغة التطبيقيّ وتعليم العربية ، عبدة الراجحيّ:٩.

(٥٠) ينظر : شرح صوتيات سيبويه:٣١٨ – ٣٢٢.

(٥١) ينظر: المصدر نفسه:٢٢٧ وما بعدها من الصفحات.

(٥٢) ينظر: المصدر نفسه:٣٢٤.

(٥٣) ومما يؤيد هذ الطرح تعليقه على الحروف الاكثر دورانًا في الكلام – واللام من بينهن– قائلًا:" واعتبرْ ذلك بأن تأخذ عدة رسائل وعدة خطب من جملة خطب النَّاس ورسائلهم، فإنّك متى حصّلتَ جميع حروفها، وعددتَ كلّ شكل على حدة، علمتَ أنَّ هذه الحروف الحاجة إليها أشدّ". البيان والتبين:٢٢/١.

(٥٤) ينظر: شرح صوتيات سيبويه:٣٢٤.

(٥٥) ينظر: المصدر نفسه:٣٣٠.

(٥٦) ينظر: المصدر نفسه:٣٣١.

(٥٧) ينظر: المصدر نفسه:٣٣٤.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**
- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيميّ، جمع وتقديم: د. أحمد طالب الإبراهيميّ، دار الغرب الاسلاميّ، ط١٩٩٧،١م.
- الاتقان في علون القرآن، عبد الرحمن بين أبي بكر جلال الدين السيوطيّ (ت٩١١ هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، السعودية، ط١، ١٤٢٦هـ.
- إحياء النحو، مصطفى جواد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة ،٢٠١٤م.
- الأصوات اللُّغويَّة ، د. إبراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصريَّة، ٢٠٠٧م.
- الاصول دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو ، فقه اللغة، البلاغة، د. تمَّام حسَّان، عالم الكتب، القاهرة،٢٠٠٠ م.
- البيان والتبين: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ،(ت ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، د ت.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جنّيّ (ت٣٩٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الحميد هنداويّ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٣م.
- ديوان المتنبي، أحمد بن الحسين الجعفيّ المتنبي أبو الطيب(ت٣٥٤هـ)، دار بيروت، بيروت،١٩٨٣م.
- شرح شافية ابن الحاجب: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي (ت٦٨٤هـ أو ٦٨٦هـ)، تحقيق: محمّد نور الحسن وآخرون، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت،(د.ت).
- شرح صوتيات سيبويه دراسة حديثة في النظام الصوتي للعربية من خلال نصوص كتاب سيبويه، د. عبد المنعم الناصر، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
- علم الاصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة،٢٠٠٠م.

- علم اللغة التطبيقيّ وتعليم العربية، د. عبدة الراجحيّ، دار المعرفة الجامعية، اسكندرية ١٩٩٥م.
- الكامل في القراءات العشر والاربعين الزائدة عليها : أبو القاسم يوسف بن عليّ ين جبارة بن محمّد بن عقيل الهذلي المغربيّ(ت٤٦٥هـ)، تحقيق: جمال بن السيد بن رفاعيّ الشايب، مؤسسة سما، ط١، ٢٠٠٧م.
- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر(ت١٨٠ هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٩ م.
- لسانيات تشومسكي مراجعة نقديَّة في الاسس المعرفيَّة، تحرير: يوسف اسكندر ومؤيد آل صوينت، دار دجلة، بيروت– لبنان، ط١، ٢٠١٩
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمَّام حسَّان ، عالم الكتب، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٦ م
- مجالس العلماء، أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجيّ(ت٩٥٢هـ)، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د. ت.
- معجم الادباء، ياقوت الحمويّ(٦٢٦هـ)، مراجعة : وزارة المعارف العمومية، مطبوعات دار المأمون، د. ت.
- معجم مقاييس اللُّغة: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) تحقيق: د. محمَّد عوض مرعب ، الآنسة فاطمة محمَّد اصلان، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، ٢٠٠٨ م.
- النحو العربيّ والدرس الحديث بحث في المنهج، د. عبدة الراجحي: دار النهضة العربية، بيروت،١٩٧٩م.
- نظرية الصِّلة أو المناسبة في التَّواصل والإدراك: دان سبيربر وديدري ولسون، ترجمة: هشام إبراهيم عبد الله الخليفة، مراجعة :فراس عواد معروف، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١ ،٢٠١٦ م.